



ندوة: عوائق العمل الشبابي السياسي في المغرب

المشاركون: محمد العوني، عمر أحرشان، سعيد فكاك،

حسن طارق، حميد أوفريد، محمد زاير، عبد الله البقالي.

أدار الندوة: عبد الحق لبيض

ندوة □

خلاصة الكلام أن المشاركة السياسية أداة من أدوات السلوك الديمقراطي الذي يهدف إلى تحقيق اجتماعية الفرد وإبراز إيجابياته في التعاطي مع شؤونه العامة لخلق ما يسمى بـ «المواطن الفاعل» Citoyen Actif أو «المشارك الفاعل»، على حد تعبير ستيوارت ميل، أو «المواطن الصالح» على حد تعبير مونتسكيو، أو المواطن «الجاهز والمهتم بالشؤون العامة» حسب إمانويل سييس.

ويتجدد النقاش حالياً في معاهد البحوث الغربية، كما في الجامعات وفي الإعلام بشتى أنواعه، عن تحولات مفهوم المشاركة السياسية في سياق التحولات التي عرفتها المجتمعات الغربية. فابتداءً من سنوات السبعينيات والثمانينيات صرنا أمام تنوع في صيغ المشاركة السياسية. وهذا التحول وضع مفهوم «المشاركة» ذاته في أزمة نظرية وإجرائية استدعت نقاشات عديدة تحاول أن تقارب الأزمة من خلال إيجاد مسوغات جديدة لفعل المشاركة السياسية تؤلف بين الأشكال القديمة والجديدة.

ارتأينا أن نقدم بهذه الإشارات العامة لنبيّن أن حديثنا عن مفهوم المشاركة السياسية ضمن نظام غير ديمقراطي يستلزم استحضار مكونات مختلفة عن تلك التي نقارب بها المفهوم في مجاله الغربي. وهذا المعطى يدفعنا إلى البحث في خصوصية النسق السياسي المغربي، والعربي عامةً. كما أننا مدعوون إلى مقارنة تحولات المفهوم في مجاله الغربي نفسه والتساؤل بالتالي: هل نحن معنيون بهذه الدينامية الداخلية التي تحكم المفهوم في بعده النظري والعملي، أم أن أزمة المفهوم عندنا لها طبيعة مختلفة وخاصيات مغايرة؟

إننا عندما نطرح مفهوم «المشاركة السياسية» للدراسة والنقاش نعي صعوبة المقاربة، واستحالة المقارنة ما بين السياقين الغربي والمغربي أو العربي. فالنظام السياسي الرسمي المغربي نظام مغلق لا يتيح إمكانية المشاركة السياسية المفتوحة على تنافسية المبادرة والخلق، وقيم البناء السياسي العام على ميكانيزمات

يُعتبر الشباب دعامة أساسية لتحقيق التنمية والحدادة المجتمعية والسياسية. وتُعدّ الدراسات حول الشباب المؤشّر الحقيقي لقياس مدى تطور الشعوب.

ومن أهمّ الأطروحات المرتبطة بدور الشباب في تحقيق التنمية الشاملة أطروحة «الشباب والمشاركة السياسية»، لأنّ المشاركة السياسية تُعدّ آلية سياسية لتفعيل دور المواطن في تدبير الشأن العام.

وقد رأت الآداب أن تخصص ملفاً شاملاً عن الشباب العربي والمشاركة السياسية في عدد من الأقطار العربية (المغرب، سورية، مصر). وهي تتمنى على الكتاب والمناضلين (ذكوراً وإناثاً طبعاً) أن يتقدموا بما لديهم من تجارب واقتراحات واعتراضات تخص قضية المشاركة السياسية الشبابية في أقطارهم.

كما أنّها تبحث عن مراسلين في كل من تونس ولبنان والأردن وغيرها من الأقطار، يرون أنّهم قادرين على إعداد ملف شامل وحيوي في هذا الموضوع.

الآداب

عبد الحق لبيض: ارتبط مفهوم «المشاركة السياسية» بصيرورة التحولات التي عرفتها الأمم الديمقراطية منذ بزوغ الاهتمام بالمسألة الديمقراطية واعتبارها أسس الحركة الحداثية في المجتمعات الصناعية. فلقد أكد مجموع الباحثين وعلماء علم السياسة أن الديمقراطية لا تتحقق إلا بفضل مواطنين حاملين لدرجة عالية من المعلومات السياسية، ولديهم عمق ارتباط بقيم التعدد وإرادة الالتزام. وندرك من خلال ذلك أن مفهوم «المشاركة السياسية» هو نتاج سيرورة الأنظمة الديمقراطية التي انبنت على فكرة انفتاح اللعبة السياسية بما يضمن الحظوظ لكافة القوى في التعبير الحر عن مشاريعها، وفي ضمان حق التداول في التدبير السياسي والاقتصادي والثقافي للمجال العام وفق آليات النظام التمثيلي المعتمد على الاقتراع المباشر والنزيه.

إحداث إقلاع ديموقراطي يُخرج المغرب من دولة الملكية التقليدية والمطلقة إلى دولة سيادة الدستور والمؤسسات وفصل السلطات. نبدأ ندوتنا بتحديد عام لمفهوم المشاركة السياسية ضمن المتغيرات التي لحقت هذا المفهوم، على أن نستعرض لاحقاً إشكالية المشاركة السياسية في تجربة «الانتقال السياسي» في المغرب، ثم نختم ندوتنا بمحور حول دور التنظيمات السياسية الشبابية في دعم مبدأ المشاركة السياسية للشباب.

I - في مفهوم المشاركة السياسية

محمد العوني: يُعدّ موضوع المشاركة السياسية، عموماً، ومشاركة الشباب، بصفة خاصة، موضوعاً إشكالياً بسبب اختلاف السياقات التي يقارَب من خلالها. ويمكننا حصر هذه السياقات في العناصر التالية:

١ - التعبير عن الرأي: وهو مستوى أولي في عملية المشاركة السياسية، ولكنه يُعتبر أحد عناصرها التأسيسية، خاصة إذا توفّرت له شروط النمو والحركة.

٢ - المساهمة في الفعل داخل المجتمع: وهو مستوى متقدّم في مسلسل المشاركة السياسية. وقد برهن الشباب المغربي في سياقات تاريخية متعددة على مشاركة خلاقة وفعّالة، وهو الفعل الذي ظلّ على الدوام يحْمَل أبعاداً سياسية كامنة تارةً ومعلنةً أحياناً كثيرة. ويكفي أن نُذكر بالفعل الشبابي المغربي الرائد إبّان فترة الاحتلال الفرنسي للمغرب، استناداً إلى العمل الرياضي المشحون بالدلالات السياسية، إذ لم تكن الفرق الرياضية آنذاك مجرد نوادٍ لممارسة النشاط الرياضي بقدر ما كانت خلايا لتنظيم المقاومة ومدارس لتشرّب الوطنية. واليوم، يواصل الشباب المغربي الفعل ذاته بهدف تحقيق التنمية المجتمعية والإقلاع الاقتصادي والثقافي وتكريس دولة المؤسسات؛ وكل ذلك من خلال العمل البيئي والعمل النضالي الاحتجاجي، الذي تنزعه حركة المعطلين ذوي الشهادات العليا، وما شابهما من حركات المجتمع المدني ذات الأبعاد السياسية الواضحة أو المضمرة.

احتكار السلطة. وهو بذلك يحدّ من كلّ الآثار الإيجابية للمشاركة السياسية، ويحوّلها إلى مجرد سلوك مجازي، القصد منه البهرجة السياسية لا الفعل السياسي المنتج والفعال. لهذا السبب، فإن مناقشتنا لمفهوم المشاركة السياسية في المغرب لا بدّ أن ينطلق من سياق النسق السياسي المغربي ليخصّص إلى استنتاجات عامة توجّه نقاشنا في محاور هذه الندوة.

تميّز النقاش السياسي في المغرب منذ أواسط التسعينيات بظهور «مرحلة الانتقال السياسي»، وهي المرحلة التي كان المؤمّل فيها أن تُنقل المغرب من النظام السياسي الشمولي والمغلق إلى النظام الديموقراطي المفتوح والقائم على آلية التداول السلمي للسلطة. ومن مستلزمات بناء المرحلة الانتقالية وجود مشاركة فعّالة ومباشرة من المواطن. غير أنّ عملية «الانتقال السياسي» في المغرب جاءت نتاج توافق نخبة سياسية معينة مع القصر، وهذا ما جعل منها عملية من دون عمق اجتماعي ولا رصيد جماهيري قادر على الدفع بسقف التغييرات السياسية إلى الحدود القصوى. بل إنّ الشباب، وهم عماد كل ثورة إصلاحية، ظلّوا على هامش صناعة قرار المرحلة الانتقالية.

اليوم، وتجربة «الانتقال السياسي» في المغرب تعيش أزمة هوية وأزمة مبادئ وأزمة ممارسة، نسال: من يملك ناصية بناء المرحلة القادمة؟ أكيد أنّ الجواب سيكون: إنهم الشباب. لكنّ السؤال الآخر هو: كيف يُمكن أن ينتظم هؤلاء الشباب ضمن مفهوم جديد للمشاركة السياسية، ويعبّروا عن رغبتهم في استئناف بناء مرحلة الانتقال السياسي ضمن شروط تاريخية مختلفة وعلى أساس تعاقدٍ مختلفٍ في بنوده وأهدافه؟

غايّتنا في هذه الندوة أن نسهم في صياغة أسس جديدة لمفهوم المشاركة السياسية لدى فئة الشباب، من خلال مشاركة قياديين في منظمات شبابية، لهم من التجربة النضالية والتراكم المعرفي والنزاهة الفكرية ما يخوّلهم القيام بدور تاريخي في التأسيس لدور فاعل للشباب المغربي في رسم ملامح المرحلة الجديدة، وفي



ما معنى أن نقوم اليوم بمشاركة الشباب في السياسة، والأرقام الحقيقية في حوزة وزارة الداخلية؟!

المواطن، ليس لهم الحق في امتلاك مجال للتعبير أو المشاركة في صناعة القرار. وأمام هذا الوضع من الواجب الاعتراف بأن المشاركة السياسية لا تستقيم في ظل أوضاع سياسية تسعى إلى تغييب إرادة الشعب وطمس الدور الحيوي للمواطن، الذي هو أصل فكرة المشاركة وعمادها الرئيس. فكيف نتكلم عن المشاركة السياسية حين لا نسلّم الانتخابات عندنا من خروق وتعسفات السلطة حتى تأتي بها على مقاساتها؟

لهذه الأسباب أرى أنّ غياب الأرضية الصلبة والسليمة، التي تقوم عليها فكرة المشاركة السياسية، من المشهد السياسي المغربي، يجعل أية محاولة لمقاربة موضوع مشاركة الشباب في العملية السياسية حديثاً في العموميات وفي التفسيرات المتعالية على الواقع الملموس. فما معنى أن نقوم بعملية مشاركة الشباب في السياسة في ظل غياب أرقام تُسَعِّفنا في عملية التقويم هذه؟ فجميعنا يعلم أنّ الأرقام الحقيقية توجد في حوزة وزارة الداخلية، وتمتنع هذه الأخيرة عن نشرها، وتروج - بدلاً عنها - أرقاماً تتقصّد ترسيخها وجعلها من مسلمات المشهد السياسي. وللأسف، نجدنا جميعاً نطلق من هذه الأرقام، مع أننا نعلم أنّها لا تمت إلى الواقع بصلّة! ولن نستطيع استجلاء الوضع السياسي الحقيقي في البلاد وبناء نظريات علمية حول المشاركة السياسية، سواء لدى الشباب أو لدى غيرهم من الفئات العمرية، إلا عندما نحسّم مع احتكارية «المُحَرَّن» المغربي لقاعدة المعلومات.

سعيد فكك: ينتمي مفهوم «المشاركة السياسية» إلى علم الاجتماع السياسي، وتتعدد تعاريفه بتعدد السياقات التي يُدرج فيها. فهناك مَنْ يَحْصُرُه في العملية الانتخابية، وهناك مَنْ يَرْبِطُه بالتعاطي الإيجابي مع المؤسسات السياسية، وفريق ثالث يرى - مثل الأخ عمر - أنّ المشاركة السياسية تتحقّق عندما ينتقل الكائن من الفردانية والشخصانية إلى الاهتمام بالشأن العام في شموليته: الجمعيات الرياضية والثقافية والاجتماعية وغيرها. وفي اعتقادنا أنّ هذا التعريف الأخير فضفاض ولا يمت بصلّة إلى المفهوم الدقيق للمشاركة السياسية. فالفعل الرياضي فعلٌ

٣ - المشاركة السياسية المباشرة: وتتجلّى في التعبيرات السياسية المباشرة التي تتيحها فرص الاستحقاقات الانتخابية، علماً أنّ العملية الانتخابية لا تمثل سوى جزء من عملية المشاركة السياسية لا العملية كلّها. وهنا يُمكن الإقرار بأنّ نسبة المشاركة السياسية في المغرب ضعيفة، لا لدى الشباب وحدهم، وإنّما لدى كافة الفئات العمرية أيضاً.

٤ - التوقف السياسي: وهو أسمى أشكال المشاركة السياسية، ويأخذ تعابير متنوعة. وكثيراً ما يلتقي التوقف السياسي مع المساهمة في الفعل داخل المجتمع. وفي هذا المستوى بالذات تُمكن ملاحظة الحضور الكبير للشباب المغربي، الذي عبّر في غير مناسبة عن حسّه السياسي المتميز الذي يسمو، أحياناً، إلى مستوى المطالبة بالحق في المشاركة في صناعة القرار.

عمر أحرشان: مفهوم «المشاركة السياسية» هو من المفاهيم الإشكالية حقاً. وسنحاول، تجاوزاً، أن نحدّد مجالين كبيرين:

أولاً: المجال العام، الذي يحدّد معنى المشاركة من خلال الانطلاق من مكوّن «المواطن» الذي يهتم بالشأن العام، ويسعى من خلال انخراطه فيه إلى تخليص نفسه من نوازعها الفردانية وميولها الانطوائية، والانتقال من المواطنة السلبية إلى «المواطنة المشاركة» التي تقوم على مبدأ المصلحة العامة.

ثانياً: التأثير في الرأي العام، الذي يملك سلطة تقرير الأوضاع السياسية وصياغة اليّات اتّخاذ القرار السياسي.

إذا انطلقنا من هذين المجالين المحدّدين، يتّضح لنا أنّنا في المغرب قد نتعسف على مفهوم «المشاركة السياسية» عندما نُدرجه في سياق خطاباتنا السياسية وكأنّه مسلّم لا جدال حولها. فهل نملك في المغرب مجالاً عاماً تُسود فيه روح المواطنة الهادفة إلى خدمة المصلحة العامة؟ وهل نملك وسائل حقيقية وفاعلة لصناعة الرأي العام؟ عند مقاربتنا هذين السؤالين نكتشف أنّنا لم نتوفر بعد على مجال عام حرّ ومستقلّ وفاعل بسبب غياب مفهوم المواطن ومفهوم المواطنة. فالرعايا، بخلاف

تحيلنا ممارسة المشاركة السياسية اليوم على ما يُعرف في النظم السياسية الغربية بـ «أزمة النظام التمثيلي». فالديموقراطية الغربية اليوم، كما تناقش في عموم النظم الديموقراطية العريقة، لم تعد ذلك الجواب السهل الذي أنجزه الغرب نفسه في إطار تطور تاريخي وفلسفي منذ عصر النهضة إلى اليوم، وإنما أضحت محلّ تساؤل عن إمكانات تحقيقها والاقتراب من قيمها وفلسفتها. وقد اتضح أنّ الديموقراطية مهددة من طرف النظام التمثيلي الذي تبنته لمدة قرون من خلال ارتكازها على آلية الاقتراع العامّ. فهذا المواطن الذي يذهب إلى صندوق الاقتراع، ويُدلي بصوته لفائدة توجهٍ سياسي معين، ماذا يمكنه أن يفعل في الفترة الفاصلة بين الاقتراعين؟ هل يقدم استقالته لتحويل المشاركة في اللحظة بين الاقتراعين إلى مشاركة النخبة، أو لنقل صفة النخبة التي تحوز الأغلبية؟ ماذا سيفعل المواطن إذا أراد التعبير عن موقف مستجد في الساحة السياسية؟ هل ينزل إلى الشارع ليعلنه، أم يسلم الأمر إلى من فوّض إليهم السلطة؟ وإذا كان الأمر كما في الحالة الأخيرة، فأي دور تبقى للرأي العامّ؟

هذه الإشكالية في الديموقراطية الغربية تجلّت بصورة أوضح أثناء الحرب على العراق عندما كنّا نشاهد شوارع إسبانيا وإنكلترا تمور بالجماهير التي تندد بتلك الحرب، في الوقت الذي كانت فيه الحكومتان تطلقان في قرارهما المشاركة في الحرب من مرجعية ديموقراطية تستند إلى أغلبية برلمانية وشرعية سياسية ديموقراطية لا نزاع حولهما. وأدى ذلك إلى طرح السؤال الكبير: هل الديموقراطية هي أن تمتلك الشرعية السياسية كما تقرر في القضايا المصيرية للمواطنين، أم أنّها تعني ضرورة العودة دوماً إلى استفتاء الناس لتجديد المشروعية؟ ثم هذه الملايين التي نزلت إلى شوارع مدريد ولندن وغيرها من العواصم الغربية، هل تمتلك الشرعية الديموقراطية في التظاهر ضد الشرعية الديموقراطية التي امتلكتها نخبة سياسية بواسطة الاقتراع العامّ النزيه والحرّ؟

كما أنّ المشاركة السياسية التي هي عصب الديموقراطيات الغربية تعيش معضلات أخرى تهدد مستقبلها. فقد أضحت

مدني واجتماعي بامتياز، إذ لا يسعى إلى خلق نوع من التوجه السياسي داخل الرأي العام. وقس على ذلك مجموع الأنشطة الاجتماعية والثقافية التي، وإن أضمرت بعض التعابير السياسية، لا ترقى إلى مستوى الفعل السياسي المباشر ذي التأثير الفعال في مجريات الأمور السياسية العامة في البلاد.

تأسيساً على ذلك، فإنّ المشاركة السياسية هي كل فعل يتم من خلال مؤسسة ذات طبيعة سياسية خالصة تعمل على التأثير في الرأي العامّ السياسي، مثل الأحزاب والجمعيات السياسية والصحافة والبرلمان. فلا يكفي أن يشارك مواطنٌ عادي في الاستحقاقات الانتخابية لنقول عنه أنّه مشارك سياسي، بل المشارك هو ذلك المواطن الملتزم في إطار ما، باختلاف ألوان هذه الإطارات، ومنها التنظيمات الشبابية التي يُعتقد خطأ أنّها من هيئات المجتمع المدني - والحال أنّها هيئات سياسية.

حسن طارق: اتفق مع التعريف الذي قدّمه الأخ سعيد لمفهوم المشاركة السياسية. فالمشاركة السياسية في التعاريف الكلاسيكية لا تُخرج عن كونها مشاركة المواطن في تدبير الشأن العامّ، ومساهمته في صناعة القرار من خلال الآليات الاختيار والاقتراع والتتبع. وعملية المشاركة السياسية عادة ما تتم عبر مؤسسات، ومن خلال انتخابات وصناعة رأي عامّ ووجود صحافة وجمعيات سياسية... إلى غيرها من الآليات الممكن افتراضها لتحقيق عملية المشاركة السياسية.

وإذا تركنا حقل الماهية والآليات، واتّجهنا صوب الحقل العلمي والتجريبي، فنسقول إنّ المشاركة السياسية تحتاج كيما تُستتب في مجتمع ما إلى توعية المواطن بقيمة ومردودية هذه المشاركة على تحسين وضعه الاجتماعي والاقتصادي والمعرفي.

هناك إشكاليات نظرية لا مجال للخوض فيها، لكننا سنحاول التأكيد على أنّ المشاركة السياسية، باعتبارها مفهوماً، تواجه في هذه اللحظات أزمة قوية. وما يهمننا هنا ليس أزمة المفهوم في حد ذاته، بقدر ما يتشغلنا أزمة المشاركة السياسية في بعدها العملي وفي سياق تجارب تاريخية محدّدة.

المشاركة السياسية لا تعدو أن تكون في عرف الأنظمة العربية إعادة إنتاج ما يصفه الحاكم أو يقوله!

السياسية العربية، إعادة إنتاج ما يصنعه الحاكم أو ما يقوله، دون إبداء موقف غير المباركة والتمجيد!

من هذا الفهم البسيط للفعل السياسي العربي، يبدو أن أية مقارنة بين مفهوم المشاركة السياسية في العالم العربي ونظيرتها في العالم الغربي الديمقراطي هي مقارنة مجحفة. فإذا كانت المشاركة السياسية في الغرب تقوم على أسس قواعد اللعبة الديمقراطية، فإنها في العالم العربي تتميز بالعنف؛ ذلك لأنها تعني إمّا الاندراج في النظام السياسي الرسمي كما أقره الحاكم «الملمهم» والقاهر فوق رعاياه، وإمّا العيش على هامش الممارسة السياسية، مع كل ما يستوجب ذلك من تفعيل لأساليب العنف والإقصاء.

إن الصعوبات التي تواجهها الديمقراطية الغربية العريضة، والتي عرّضها أمّنا الأخ طارق، هي صعوبات حقيقية وبنوية، لكنّها لا تعنيّا نحن مباشرةً. ذلك أنّ العالم العربي، الذي يعيش فترة ما قبل الديمقراطية، ما يزال هاجسُهُ هو تحقيق حلم ذلك النظام التمثيلي ليستطيع المواطنُ الإسهام في اتخاذ القرارات وفي مراقبتها. فمهما كانت سلبيات النظام التمثيلي فهي هدفنا الأسمى الآن ولا بدّل لنا عنها.

وقبل الختام، أوّكّد على ما ذهب إليه الأخ سعيد، من أنّ المشاركة السياسية في معناها العام لا تتحقق في أسمى صورها إلا من خلال المشاركة من داخل التنظيم.

محمد زاير: للحديث عن المشاركة السياسية لا بدّ من استحضار مقياس المشاركة وكيفية تحديده. فقد انطلق الإخوة من تحديدات علمية وأكاديمية لشرح مفهوم المشاركة، وهي تحديدات لا يشكّ أحدٌ في قيمتها وفي جدواها. لكنّ المقاربة العلمية لا تستطيع أن تلغي قيمة المقاربة الميدانية لمستوى المشاركة كما تتجلى في الممارسة اليومية للعمل السياسي المباشر.

ثمّة اعتقاد سائد بأنّ المشاركة السياسية هي تلك الممارسات التي تسبق عملية الاقتراع، من تعبئة وحملات انتخابية ودعائية.

الديموقراطية تواجه سلطة المال. كما تتعرّض الديمقراطية، ومفهوم المشاركة بالدرجة الأولى، إلى تهديد سلطة الإعلام، وبخاصة الإعلام المرئي، حتى تحوّلت إلى ما سمّته الصحافة الفرنسية بـ «التلفزقراطية» Télécration، إذ يكفي أن تمتلك قناة تلفزيونية لخرّف النقاش السياسي في الاتجاه الذي ترضيه. وهناك أيضاً سلطة «طبقة التقنوقراط»: ذلك أنّه بازدياد تعقّد الحياة، فإنّ الجواب الذي يقدمه السياسي يحتاج دوماً إلى تدقيق الخبير وتقييمه، حتى شاع مؤخراً أنّ القرارات السياسية المصرية في البلدان الديمقراطية تُصدر من مكاتب الدراسات والأبحاث لا من مكاتب الوزراء والسياسيين.

إجمالاً، يُمكننا القول إنّ المشاركة السياسية تعيش اليوم على إيقاع معضلات كبرى ومصيرية. وقد تتجدد هذه المعضلات بتجدد الأسئلة التي تطرحها الديمقراطية ذاتها. لهذا يبدو من الصعب تحديداً دقيقاً وشاملاً لمفهوم المشاركة السياسية. لكننا يُمكننا القول إنّ المشاركة السياسية هي مشاركات مرتبطة بثقافة المجتمعات، وبتكونها التاريخي والسياسي، وبمدى اقترابها من لحظة الديمقراطية الحقيقية.

حميد أوفريد: أنهى طارق مداخلته بالإشارة إلى أنّ المشاركة السياسية هي مشاركات لا مشاركة واحدة، لأنها تخضع لثقافة كلّ مجتمع وطبيعة التراكمات التي حقّقها على مستوى الممارسة السياسية. وأريد أن أضيف كذلك أنّ مفهوم المشاركة السياسية يُخضع لمفهوم السياسة. فإذا كان مفهوم السياسة في المجتمعات الغربية الديمقراطية يعني التوسيع المعجمي لمفهوم «إدارة المدينة»، المؤسس على فكرة المواطنة والتوازن بين الحقّ والواجب، فإنّ المفهوم في الثقافة العربية يأخذ بعداً آخر. ففي المعاجم العربية «ساس الخيل» أي روضها، ولذلك فإنّ السياسة في الفكر العربي الرسمي جَنَحَتْ دوماً إلى معنى تربية المواطن على الانصياع والطاعة لما هو مقدّم له سلفاً كتصور عن السياسي وعن مجالات اشتغاله. وبهذا المعنى، فإنّ المشاركة السياسية لا تعدو أن تكون، في عرف الأنظمة

نقله نوعياً، بالنظر إلى المتغيرات البطيئة التي عاشها المغرب خلال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، حيث كان مجال المشاركة - البطيئة أصلاً - مغلقاً ومحاصراً ومسيجاً بعدة آليات ووسائل قانونية وأمنية وإعلامية.

في ضوء ما عُرض من أفكار في هذه الندوة، يبدو أن هناك خللاً كبيراً بين الممارسة والتنظير لهذه الممارسة. فنحن الآن نتحدث عن المشاركة السياسية، ولكننا إذا قمنا بالموازنة بين التنظير للمشاركة وبين ممارسة المشاركة فعلياً، فسنلاحظ أن هناك تدنياً وضعفاً بيننا في إنتاج تنظير موازٍ للتحويلات السياسية التي يعيشها المغرب. ويكفي أن نستدل في هذا المقام بأننا لم نتفق إلى الآن على العديد من المفاهيم التي أضحت عناوين رئيسية لهذه المرحلة!

II - المشاركة السياسية و«الانتقال التوافقي» في المغرب

عبد الحق لبيض: لا خلاف في أن فترة «الانتقال التوافقي» تشكل مرحلة جدال سياسي مفتوح. ما يهمنا هو التساؤل عن حجم المشاركة السياسية في مواكبة أجواء التدشين لمرحلة كان المؤمل منها وضع المغرب على سكة التحول إلى زمن الانتقال الديمقراطي. ولأن أي تغيير يقتضي مشاركة جماهيرية واسعة تتمثل أفق التغيير وتدافع عنه، فهل توفّر لتجربة «الانتقال الديمقراطي» هذا النوع من التعبئة الجماهيرية ممثلة في المشاركة السياسية، وبخاصة لدى فئة الشباب التي هي المعنية أكثر من غيرها بأسئلة التغيير والتحول؟ وهل استطاعت هذه التجربة السياسية أن ترسخ نمطاً معيناً من أنماط المشاركة السياسية لدى الشباب يجعل منها بحق مطلباً شعبياً أكثر منه إرادة نخبة ارتأت تغيير إيقاع الممارسة السياسية في ظروف استثنائية كان يمر بها المغرب؟

العوني: الدعوة إلى الديمقراطية لن تستقيم إلا برفع شعار ديمقراطية الدولة والمجتمع في وقت واحد، وبدرجات الفعلية ذاتها.

ولتوضيح الصورة أُوردُ عليكم حكايةً عشناها في «منظمة الشباب الاتحادي» مؤخرًا عندما عزمنا على تنظيم ورشة بمنطقة قروية نائية، فواجهنا أهالي تلك القرية بالسؤال البديهي: «هل الآن موسم انتخابات؟!» ما يفهم من هذا السؤال أن ثمة قناعة راسخة عند المواطن بأن الأحزاب والدولة لا تهتم بالحراك السياسي ولا بإشراك المواطن فيه إلا في موسم الانتخابات، باعتبار المواطن مجرد رقم في معادلة لا يُشارك في صياغة أشكالها ونتائجها.

والحال أن المشاركة السياسية لا تتم إلا من خلال مساهمة المواطن اليومية في الشأن العام، وهذه المساهمة لا تشتت أن يكون الفعل فقط من داخل موقع القرار في الدولة أو الأحزاب السياسية، وإنما تنفتح على مبادرات كل المواطنين الذين لهم رغبة في الانشغال بقضايا الشأن العام. وقد تكون مشاركة المواطن في المجال السياسي غير مباشرة، وذلك من خلال انتخابه أناساً مؤهلين لاتخاذ القرارات التي تكون في صالحه، وكذا من خلال تتبعه لآليات صناعة القرار ومراقبته عبر الوسائل الممكنة لذلك. ومن هنا تكون سلطة القرار نابعة من قوة الرأي العام؛ فإذا كان الرأي العام ضعيفاً فستكون القرارات ضعيفة. وكل هذه الأمور مرتبطة بدرجات وضوح اللعبة الديمقراطية، التي من شأنها أن تعكس هموم وتطلعات المواطن من داخل مؤسسات تنفيذية قادرة على الاستجابة لاهتماماته وتوجهاته.

عبد الله البقالي: شخصياً لا أميز بين المشاركة السياسية وبين باقي مجالات المشاركة، لأنه لا يمكن أن تكون هناك مشاركة سياسية دون مشاركة ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية. إن الموضوع لا بد أن يطرح كقضية ذات امتدادات عميقة داخل قضايا أخرى تتقاطع معها وتتفاعل مع أسئلتها وهواجسها. فالمشاركة السياسية هي جزء من إشكالية الممارسة بشكل عام: المشاركة في التربية الوطنية، المشاركة في إدارة الثروة الوطنية، المشاركة في إدارة الشأن الثقافي والديني...

من الواجب الاعتراف بأن مجال المشاركة بصفة عامة في المغرب قد عرّف خلال العشرية الأخيرة مجموعة تغيرات شكلت



ماذا جئنا من مرحلة
«الانتقال التوافقي»
مع عبد الرحمن
اليوسفي غير المزيد
من الإحباط والابتعاد
عن الديمقراطية
الحقيقية؟

بناءً نظام ديمقراطي مغربي يستجيب لتطلعات المواطن ويحفزه على المشاركة السياسية الإيجابية في إدارة الشأن العام؟ فهذا البناء الديمقراطي لن يكون سليماً إذا لم يأخذ في الاعتبار أن الفعل الديمقراطي فعلٌ متكاملٌ يتداخل فيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وإلا فلن يتحقق هذا النظام الذي يجعل الشاب - الذي هو أصل فكرة التغيير - يحكم نفسه بنفسه. ذلك أن الشاب إذا لم يدخل أجواء التغيير الديمقراطي الحقيقية، فلن يُبدي أية رغبة في المشاركة السياسية الفاعلة.

لكن المطروح علينا، اليوم، في مغرب «الانتقال السياسي»، تكتنفه بعض الغرابة. فالمطلوب منا أن نعترف بشرعية طبقة راکمت الكثير من الثروات ونهبت خيرات البلاد، في مقابل الانتقال إلى مرحلة «الديمقراطية» كما رسمتها عبقرية حرس العهد القديم وأخرجت حلقاتها بإتقان المتفنون في محو الذاكرة الجماعية. وبالفعل استجاب جزء من الطبقة السياسية الوطنية الديمقراطية لهذا المطلب المحجف، فماذا جئنا غير المزيد من اليأس والإحباط والابتعاد عن مرحلة الديمقراطية الحقيقية؟ ألم نزل نُطرح الأسئلة نفسها التي بدأنا بها مسيرة التوافق السياسي من مثل: كيف وأين تُصرف الأموال التي تتحكم فيها السلطة؟ ومن يراقب السلطة في تدبيرها لهذه الأموال؟ وأية علاقة للثروة بالسلطة؟

إن أية مشاركة لا تجد أجوبةً على هذه الأسئلة الجوهرية ستظل مشاركةً بدون أفق، لأن مثل هذه الأجوبة هي التي يُمكنها أن تحفز مشاركتنا السياسية كشباب.

فكأنك نرتهن، يوماً، في حديثنا عن موضوع «الشباب والمشاركة السياسية» إلى تجاربنا كمسؤولين في تنظيمات شبابية، ما دنا نُفتقر إلى الدراسات العلمية والأكاديمية الدقيقة في الموضوع، وما دامت كل المعطيات في حوزة وزارة الداخلية التي تتكتم عليها تكتماً مريباً لا يفسر إلا رغبتها في إخفاء الحقيقة عن المواطن وعن الفاعل السياسي على حد سواء. لكننا في السياق ذاته نلمس تكتماً من الأحزاب في الكشف عن نسبة الشباب المنخرطين في صفوفها.

فالتطرق إلى الديمقراطية الحقيقية لا يتم عبر الدعوة إلى قيام شكليات ديمقراطية، وترك المجتمع خارج متطلبات التغيير الديمقراطي المنشود. والحال أننا في تجربة الانتقال الديمقراطي اكتفينا بتبريد الدعوة إلى الشكليات الديمقراطية وتحايلنا على ترتيب الأولويات في المطالب، لا لشيء إلا لأن هناك من له مصلحة في ذلك ويسعى جاهداً إلى الحفاظ على استمرار الأوضاع على ما هي عليه. وتحمّل السلطة المغربية المسؤولية في ما وصلت إليه الأوضاع في مغرب اليوم؛ فإذا أردنا أن نحقق مشاركةً سياسيةً فاعلة، فينبغي على السلطة السياسية الحاكمة أن تقوم بمبادرات حقيقية في اتجاه المشاركة السياسية، ليس لدى فئة الشباب وحدهم، وإنما لدى كل المواطنين.

وإنني إذ أركز على دور السلطة في ضعف نسبة المشاركة السياسية عند المواطن المغربي، وعند الشاب خصوصاً، فذلك لكي أُنحّض ما تروّجه السلطة مؤخراً من خطاب تتوخى منه تحميل المسؤولية للأحزاب السياسية في ما وصلت إليه الأوضاع من تردّد ومن عزوف للشباب عن المشاركة السياسية، وكأنّ هذه الأحزاب عاشت فترات الماضي في مناخ منفتح أتاح لها إمكانية التأطير المباشر للمواطنين والعمل على ترسيخ قيم الديمقراطية والمشاركة والمبادرة الحرة! أو كأنّ هذه السلطة لم تعمل طيلة العقود التي تلت الاستقلال على تقزيم دور الأحزاب الوطنية التاريخية، بل ولم ترفع يوماً سوط القمع والاعتقال والنفي والاختطاف في حق مناضلي هذه الأحزاب، وفي حق كل مواطن تحيل يوماً أنّه باستطاعته التعبير عن إرادته!

إن مفهوم الانتقال الديمقراطي الحقيقي هو البحث الدؤوب عن الأنظمة السياسية الملائمة التي تساعدنا على الخروج من الأوضاع السيئة. ولما لم يكن هذا البحث قد تمّ الشروع فيه بعد، فإن أي حديث عن «انتقال ديمقراطي» يُعدّ بمثابة قفز عن الواقع والتخليق في أجواء التنظيرات المجردة.

إن الإشكالات التي انطلقنا منها عندما أردنا التأسيس للانتقال الديمقراطي ما تزال مطروحةً علينا إلى الآن، من مثل: كيف نستفيد من التجارب الديمقراطية العالمية ومن ثغراتها لتتمم

أشرنا إليها. لكنني أعتقد أن تسويد المشهد ولعن الظلام لا يخدمان الشباب، بل يجب فتح باب الآمال بالرغم من كل الظروف الصعبة التي تتزايد يوماً بعد آخر. فمجرد وجودنا في الساحة السياسية، رفقة الآلاف من الشباب من داخل الأحزاب الديمقراطية والمنظمات الشبابية، يعد مؤشراً خيراً وأمل.

بخصوص تأثير التحولات السياسية الأخيرة على المشاركة السياسية، فإنّ أحدًا لا يُنكر أنّ تجربة «حكومة التناوب الأولى» بقيادة الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي فتحت آفاقاً وعبأت حولها إرادات أغلبية الشعب المغربي التواق إلى التغيير. لكن حجم الآمال التي علقت على هذه التجربة كان في حجم الخوف من الردة عليها إن هي لم تستجب لمعظم المطالب الجماهيرية - وهو للأسف الشديد ما حصل: فقد كانت حكومة اليوسفي جاهلةً بخبايا الأمور، كما لم تكن تعلم حجم المقاومة التي ستواجهها من لدن أصحاب الامتيازات والرافضين لأيّ تغيير خوفاً على مصالحهم ومكتسباتهم. لذا كان لهذا التحول السياسي انعكاساته السلبية على مستوى المشاركة السياسية، وعلى تعميق الإحساس بالاغتراب السياسي عند شريحة الشباب بصفة خاصة.

أحرشان: ما يجب التأكد منه أننا في المغرب لا نملك شروط المشاركة السياسية ولا إمكانياتها حتى في حدها الأدنى. هذه حقيقة يجب عدم التحايل عليها بدعوى إشعال شمعة الأمل أو إشاعة التفاؤل في الشباب!

في بداية التسعينيات، بدأ الحديث عن انعطاف وتحول سياسييّن يأذنان ببزوغ مرحلة سياسية جديدة أهم ما ميزها كثرة العناوين والشعارات، في حين ظل مضمون العمل السياسي على حاله، بل ربما ازداد سوءاً. وبدون تنظيرات نود أن نتساءل: ماذا حققت لنا تجربة التناوب من متغيرات على مستوى الممارسة السياسية، وعلى مستوى عيش المواطن؟

كلنا يعلم أنّ التحول كان معوقاً من بدايته لأنه لم يُبنى على أسس مؤسسية ودستورية قوية. فما تزال المشكلة التي تواجهنا اليوم هي المسألة الدستورية. فهل هذا الدستور الذي

الحديث عن العزوف السياسي يتم دوماً من خلال قياس الفترة الراهنة بفترة الستينيات والسبعينيات وحتى الثمانينيات من القرن الفائت، حيث كان العمل السياسي منتعشاً وذا فائدة ومردودية. غير أنّ هذه المقاييس تحتاج إلى تحييص: فربما كانت هناك بالفعل مشاركة للشباب في مرحلة الحماس السياسي، لكن يجب دوماً مقارنة نسبة الشباب المشارك بنسبة الساكنة العامة للبلاد. وحتى إذا سلّمنا بأنّ هناك مشاركة كبيرة للشباب في تلك الفترة، فلماذا لم نستطع أن نحقق برنامج اليسار والأحزاب الديمقراطية؟ يجب ألا ننسى أنّ المغرب اليوم فيه أكثر من ثلاثين مليون نسمة؛ إضافة إلى أنّ ظروف تلك المرحلة، رغم كل عوامل الحصار والقمع، كانت تتسم بوفرة العمل السياسي. وهناك سبب آخر هو أننا جميعاً ننتمي إلى مدرسة سياسية للالتزام، لا إلى مدرسة المال؛ فقد كان محرّكنا الأساس في عملية النضال والمشاركة السياسيّين هو الأفكار والمبادئ والمشروع السياسي الديمقراطي الحداثي، لكننا اليوم نجد الشاب يواجه مشاكل عديدة يلعب فيها العنصر الاقتصادي دوراً أساسياً نظراً إلى تعقد شروط الحياة ومتطلبات العيش. وثمة أزمة اقتصادية خانقة وأزمات اجتماعية تزداد كل يوم استفحالا؛ إلى جانب أزمة المؤسسات الديمقراطية... إلى ما سواها من المعضلات التي يضيق المجال لعرضها بكاملها، وهي ذات تأثير سلبي على مستوى انخراط المواطن عامة، والشباب المغربي بصفة خاصة، في قضايا الشأن العام.

ولا يُمكننا الحديث عن المشاركة السياسية دون التطرق إلى مجال التعليم. فالمنظومة التعليمية في المغرب تواجه إشكالات حقيقية تتمثل في نسبة المتخرجين من الجامعات والتي لا تتعدى ٩٪ من مجموع المتعلمين، في حين تصل في الجزائر إلى ٣٠٪ وفي تونس إلى ٢٠٪، أما في فرنسا فقد تصل النسبة إلى ٦٠٪! إنّ المتأمل في هذه النسب يدرك شح دورة إنتاج النخب في المغرب، ما دامت الشريحة الأكثر التزاماً واهتماماً بالشأن السياسي هي شريحة الجامعيين والأساتذة والطلبة.

إذاً، عندما نتحدث عن «عزوف الشباب عن المشاركة السياسية»، فلا بد أن يكون حديثنا نسبياً ومسحاً بكل هذه المعطيات التي

التحول السياسي في التسعينيات عمق الإحساس بالاغتراب السياسي عند شريحة الشباب بصفة خاصة

في الختام أقول: مادامت التحولات لم تتحقق في إطار احترام إرادة الشعب فإنّه لا يُمكن اعتبارها تحولات حقيقية. فما لم ترسّم هذه التحولات معالم الطريق نحو ربط المسؤولية بالمحاسبة، وما لم تضع أسساً لرُجْر مَنْ يتصرفون في ثروات البلاد وكأنّها ملكٌ لهم أو لذويهم، فلا ننتظر مشاركةً سياسيةً تلتقط مؤشّرات التحول وتحتضنها لترسخّها في العمق المجتمعي.

لبيض: الصورة التي قدّمها الأخ عمر عن مغرب اليوم ليست جديدة؛ فالأوضاع ذاتها اتسمت بها مرحلة الستينيات والسبعينيات وربما كانت أعنف وأشدّ وطأة مما هي عليه الآن. لكنّ ما كنّا نلاحظه هو وجود إرادة في المشاركة، وبروز عمل قاعديّ جبّار أسست له أحزاب اليسار قصْد ترسيخ مبادئ الحرية والديموقراطية والمساواة والكرامة الإنسانية، فكان أن حققت حينها حراكًا اجتماعيًا وسياسيًا بسقفٍ مطالب عالٍ نسبيًا. اليوم الوضع نسبيًا مُشابه، بالرغم من وجود هامشٍ للحرية وتحقّق انفتاح نسبيّ في المجال السياسي فرضته شروط ذاتية وموضوعية. لكنّ الحركات الإسلامية التي تقود اليوم الفعل الاحتجاجي، والتي تتوفّر على قاعدة شعبية واسعة، ما يزال سقف مطالبها منخفضًا. فإذا نحن قارنًا بين حصيلة تاريخ نضال اليسار في المعارضة وحجم الزخم الذي قدّمه في إطار إشاعة روح المشاركة بين فئة الشباب، وبين ما أنجزته الحركات الإسلامية في هذا المضمار، فسنجد أنّ الكفة تميل إلى جانب اليسار. ومن شأن هذا الوضع أن يضع علامات استفهام كبرى حول الغايات التي تُهدف الحركات الإسلامية إلى تحقيقها من وراء الرهان على التعبير الاحتجاجي المحدود الأثر والتأثير، برغم ما يلقاه من تضامن عفوي وتلقائي من شريحة كبيرة من المواطنين البسطاء والمحدودي المعرفة. السؤال هو: كيف تستطيع الحركات الإسلامية ذات التعبيرات الاحتجاجية الاستفادة من القاعدة الشبابية العريضة التي تدّعي أنّها توطّرها وتؤثّر فيها من أجل فرض قواعد لعبة التغيير السياسي الحقيقي في المغرب؟

يفتقر إلى مبدأ فصل السلط يُمكنه أن يقدم لنا الضمانات الكافية لإيجاد حكومة مسؤولة قادرة على أخذ المبادرة، ولانبتاق برلمان يملك القوة التشريعية التي تعزّز عملية مراقبته لأداء الحكومة وتقوي عمله كجهاز يعبر عن إرادة الأمة؟

إنّ التحولات التي عاشها المغرب في التسعينيات لم تكن نتيجة تراكم بنوي فرضته القوى الداخلية، بقدر ما كان رغبةً من النظام في الحفاظ على استمراره وعلى تجاوز الأزمة التي خلّفها ظهور الحركات الاحتجاجية التي قادها الدكاترة المعطلون... هذا دون أن ننسى سعي النظام الحثيث للظهور في الساحة الدولية بوجه النظام المنفتح والمتطور.

إنّ التحول السياسي الحقيقي الذي يُنتظر من المغاربة تحقيقه هو التحول الذي يشارك فيه الجميع من خلال سنّ ثقافة الحوار الجماعي من أجل ممارسة السياسة الحقيقية، التي تكون تعبيرًا صادقًا عن موازين القوى...

لبيض (مقاطعًا): لكنّ لتتحدث بصراحة. من المسؤول عن غياب الحوار داخل المجتمع؟ أعرف أنّ الدولة التسلطية لها القدرة على مراقبة حركات وسكنات المجتمع، لكنها غير قادرة على إماتة روح المبادرة والإصرار على الحوار. وإلاّ فما جدوى هذا الزخم الهائل من المنظمات السياسية والحقوقية والشبابية؟

أحرشان: نحن جميعًا مسؤولون عن غياب الحوار، دولةً وأحزابًا وجمعياتٍ مجتمع مدني.

لبيض: هذا كلام في العموميات، والمرحلة التي يجب أن نؤسّس لها هي مرحلة المكاشفة وتسمية الأشياء بمسمياتها.

أحرشان: كل فاعلٍ مجتمعيّ مسؤولٌ عما ألت إليه الأوضاع في البلاد. وعندما أتكلّم بنوع من الإطلافة فليس معنى ذلك أنني أستثني نفسي؛ فأنا كذلك مسؤولٌ، لكنّ مع الأخذ بعين الاعتبار درجات المسؤولية عند كلّ واحدٍ منّا.

أحرشان: كلامك محشو بمغالطات كثيرة. فليس صحيحاً أنه كان هناك تأطير قوي للرأي العام في الحقب التاريخية التي ذُكرت، وبخاصة في صفوف الشباب، من طرف الأحزاب السياسية التقدمية.

لبيض: وهل تستطيع بجرّة قلم أن تُسقط من الذاكرة مئات الأطر التي تكوّنت في مدارس الأحزاب التقدمية، وهي التي تُسهم اليوم في تسيير العديد من القطاعات العمومية والخصوصية، بل وتمثّل عماد النخبة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في مغرب اليوم؟

أحرشان: ما ذكرته ما يزال مستمراً إلى الآن. فهناك أطر ذات كفاءات عالية، وبتعابير سياسية مختلفة و متميزة، وذات حضور قوي في البنية المجتمعية والسياسية والاقتصادية، وهي محمّلة - بالمناسبة - بوعي سياسي غاية في النضج والاستقامة الفكرية والسلوكية. فحركة المعطلين اليوم ليست نتاج فترة الستينيات، وإنما تتكوّن من خريجي الجامعات في فترة التسعينيات. فلماذا تُسقط من تحليلك هذا المعطى الواضح؟ لماذا لا تُذكر ما تقوم به الجامعة المغربية اليوم من تكوين سياسي لشريحة عريضة من الشباب؟

لبيض: أيعني هذا اعترافاً منكم بأنّ الفضاء الجامعي في المغرب يوجد اليوم تحت تأثير وتأطير حركتكم، حركة العدل والإحسان الإسلامية؟

أحرشان: ليس ذلك بالضرورة. إنّنا نعمل جهداً المستطاع، ونحاول التأطير ما أمكن. وعندما نتحدث عن قوة التأطير في السنوات الماضية فيجب أن نتعامل معها بنسبية. ففي الستينيات تحرّج كذلك شباب مميّع، بحيث لم يكن كل الشباب ملتزمين سياسياً. ومع ذلك يجب ألا تُنسى ظروف الاشتغال آنذاك: فبالرغم من كل أشكال القمع، فإنّه لا وجه لمقارنتها بما يحصل اليوم من عنف ضدّ الفعل الإسلامي، أو ضدّ كل عمل

تُشتمّ منه رائحة الإسلام. فالعنف اليوم أشرس وأعنف، وأشكالُ الحصار الحديدي على عمل الحركات الإسلامية أقوى؛ بل إنّ ٤٥٠ جمعية إسلامية لا تريد السلطات العمومية الترخيص لها بالعمل! وكلّم شاهد على ما يقع من عنف داخل الجامعة ضدّ الفعل النضالي للشبابي المحسوب على الحركات الإسلامية. كما لا يخفى على أحد حجم التضيق الذي يمارس على المناضلين الإسلاميين داخل المجتمع.

إنّ النقاش الدائر بيننا اليوم هو نقاشٌ نسبيّ ويحتاج إلى الحوار الجماعي وإلى بلورة إجابات ممكنة للأسئلة العالقة والخروج من دائرة الانتظارية. فمهما انتظرنا السلطة كيما تبادر إلى التغيير فلن تفعل ذلك، لأنّه ليس في مصلحتها أن يكون هناك تغيير حقيقي يمسّ مصالحها ويهدّد امتيازاتها. لذلك، فإنّ دعوتنا المركزية في هذا الشأن تتلخص في العودة إلى السياسة بمعناها الصحيح، أي سياسة موازين القوى، حيث يستطيع الفاعلون السياسيون عبر حوار مجتمعي حقيقي أن يشكّلوا ميزان القوى هذا داخل المجتمع.

طارق: من اللافت للانتباه أنّ الفاعل العمومي بدأ في الفترات الأخيرة يخضع للمفاهيم التي يروجها الإعلام؛ فقد أضحت مسألة «العزوف» مثلاً كليشيهياً جاهزاً للتسويق الإعلامي. لكنّ في سياق حديثنا اليوم، لا بدّ من إخضاع هذا المفهوم للنقد وللمحيص، وذلك من خلال ثلاثة مداخل أساسية:

أولاً: مدخل مفاهيمي نحدّد فيه بدقّة سبب رمينا للشباب بالعزوف دون سواهم، وأسباب ذلك العزوف إن صحّ وجود.

ثانياً: مدخل سياسي نذكّر فيه مروّجي مقولة «العزوف السياسي لفئة الشباب» أنّ المغرب، تاريخياً وكنظام سياسي، لم تكن فيه السياسة مجالاً عمومياً مفتوحاً للنقاش وللتداول وللمشاريع المجتمعية المختلفة. لقد كان حضور السلطة في المغرب قوياً ضدّاً على إرادة المجتمع وإرادة النخب السياسية الوطنية الديموقراطية. ومن ثم فإنّ أيّ حديث عن المشاركة السياسية عموماً، ومشاركة الشباب في المجال السياسي



ثمة عنف شرس ضد الفعل الإسلامي والشبابي المحسوب على الحركات الإسلامية

على التصنيف داخل السيناريوهين معاً. فالسلطة المغربية هي التي بادرت إلى إطلاق مسلسل التحولات، وبالتالي ظلت متحكّمة في سيرورته وصيرورته. وأما المجتمع فبدا غير قادر على فرض سقف مطالب سياسية أكثر مما فَرَضَهُ النظام. ولذلك أسبابه الكامنة: فالمجتمع المغربي مجتمعٌ محافظٌ ومتمسكٌ بقيم ما قبل المدنية، كما أنه مجتمعٌ غيرٌ مستوعِبٍ لثقافة التنظيم القائمة على أسس المصالح والفئات، ولذلك لا نجده يبدي استعداداً عارماً للمشاركة السياسية، وإلا فلماذا أخفق مشروعُ التناوب السياسي (إذا كان مناسباً أن نتحدث عن إخفاق هذه التجربة) في تحقيق مشروعه التغييري؟ أليس لأنَّ المجتمع لم يحتضنْ هذه التجربة ولم يحوّلها إلى واقع ملموس يصعب تجاوزه، علماً أنّ الفئات الشعبية كانت هي المستفيد الأكبر من نجاح واستمرار ذلك الخيار الديمقراطي الذي عبّرت عنه حكومةُ التناوب السياسي برئاسة الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي؟

لكن، وبالرغم من كلِّ هذه السلبيات، فإنَّ تجربة التحول الديمقراطي في المغرب أثّرت بشكل إيجابي في مستوى المشاركة السياسية عموماً ومشاركة الشباب على وجه الخصوص. فلأول مرة بعد فترة مقاومة الاستعمار، ينخرط جلُّ المغاربة في نقاش سياسي حول طبيعة وأفاق تجربة التناوب ويتسألون عن فُرص تحقيقها لمشروعها السياسي والاجتماعي. وهذا النقاش في حدِّ ذاته فعَلٌ، نوعاً ما، الدينامية المجتمعية، وجَعَلَ من السياسي مجالاً شبه مستقلاً يبلور التصورات والرؤى.

البقالي: لقد قامت الأحزاب الوطنية الديمقراطية بأدوار وطنية مهمة، على الأقل في سنوات محددة، إذ ضحّت دماءً قوية في المجتمع، ورفَعَتْ سقفَ المطالب الاجتماعية والسياسية والدستورية، ومن ثمَّ مكّنت البلاد من تحقيق دفعة سياسية هامة. لكنَّ سُنَّةَ العمل السياسي تُفرض أن ينتقل مَنْ كان في جناح المعارضة إلى سدة الحكم ليمارس تسيير الشأن العام، ولا يمكن أن نلوم هذه الأحزاب لأنها قبلت الدخول في عملية

والعمومي خصوصاً، هو من باب المجاز في الكلام (!)، وإنَّ كان ذلك لا يلغي وجودَ حركية سياسية شبابية كانت تتم من داخل صفوف القوى الوطنية التقدمية. فقد قَدَّمَ اليسار، وهذا ما لا يمكن الأخ عمر أن ينفيه، الكثير من التضحيات بفضل مناضليه الشباب. ولا مجال لمقارنة اليوم بالأمس؛ فمهما يقال عن سلبيات الراهن فهي لن تصل إلى عمق سلبيات الماضي. فعلى الأقل نستطيع اليوم، ونحن في هذه القاعة، أن نتكلم ونحن محميون بهامش من الحرية ما كان ليتحقّق لولا نضالات شباب مراحل التعسف والقمع والرصاص.

ثالثاً: مدخل تاريخي، وفيه تقدّم لنا ظاهرة «العزوف» كما لو أنّها ظاهرةٌ مستجدةٌ جاءت بعد لحظة زاهرة بالمشاركة السياسية؛ والحال أنّ النُخب في التاريخ السياسي المغربي المعاصر والقريب جداً كانت تُفرض قبضتها الحديدية وتَمنع أية مبادرة لمشاركة حقيقية للشباب في الفعل السياسي.

يتبيّن لنا من خلال المداخل الثلاثة أنّ موضوع المشاركة السياسية لدى الشباب يتطلب منا تفكيك خطاب التعميم، وأنَّ يعالج كإشكالية تاريخية قابلة للتنسب. ويجب الاعتراف أيضاً بأنَّ المشاركة السياسية، كمفهوم وكمارسة، هي تقليدٌ سياسيٌ حديثٌ في المغرب ويحتاج إلى نوع من التراكم حتى تنضج الفكرة على مستوى التطبيق.

السؤال الثاني المطروح في هذه الندوة هو عن مدى تأثير تجربة التحول السياسي في مفهوم المشاركة السياسية للشباب. أظنّ أنّ بإمكاننا تقديم سيناريوهين: الأول يتمثّل في التحول الذي يكون سابقاً على المشاركة؛ ومثالنا هنا هو الدول الشرقية، التي تمكّن التحول فيها من أن يفجر طاقات هائلة على مستوى مشاركة الجماهير العريضة بعد سنوات القهر والقمع السياسي التي عاشتها. أما في السيناريو الثاني، فإنَّ المشاركة الشعبية هي مصدر التحولات ومحرك فعل التغيير؛ ويمكننا أن نمثّل على ذلك بتجربة دول أميركا اللاتينية، وبتجربة الجزائر قبل ١٩٩١. والحقّ أنّ التجربة المغربية تظل عسيرة

المشاركة السياسية تتطلب تنظيمًا محكمًا لهذا المشهد. وثمة إشكالية أخرى تواجه الفاعل السياسي عمومًا والفاعل الشبابي على وجه الخصوص وهي: هل اتفقنا فيما بيننا على ما نريد تحقيقه لهذه البلاد؟ هل يتفق اليسار والحركة النقابية والحركة الحقوقية مع الإخوة في العدل والإحسان وفي حزب العدالة والتنمية على نمط الحكم: هل هو علماني ديمقراطي، أم خلافي، أم نظام يقتدي بالنموذج الإسباني أو التركي؟ الإجابات عن مثل هذه الأسئلة هي التي ستشكل منطلق الإقلاع السياسي الحقيقي الذي سيدفع بالدينامية المجتمعية إلى الانخراط في العملية السياسية.

شخصيًا، لست متحمسًا لفكرة وجود نفور للشباب في التعاطي مع الشأن السياسي. فالممارس داخل الشأن الشبابي يواجه، على العكس، بمشاكل الاكتظاظ والتنظيم الصعب في صفوف هذه المنظمات الشبابية. فبعد أن كان من السهل في السابق أن تنظم منظمة شبابية مؤتمرها، إذ كان يكفي أن يتلو الزعيم الحزبي من منصة عالية لائحة معينة حتى تتم تزيكيتها ومباركتها، بات أصعب شيء اليوم تنظيم مؤتمر وطني فإذا أنت لم تمارس الديمقراطية الحقيقية وتطبق الشفافية التامة، فلا يمكنك أن ترسو على شاطئ النجاة، لأن هناك أعدادًا كبيرة من المؤتمرين ذات نوعية خاصة مزودة بقيم الخطاب الديمقراطي وتسعى إلى تطبيقه في كل ممارساتها. ومع ذلك، فإذا كنا نتحدث عن مسألة النفور السياسي في المغرب، فيجب ربط حديثنا بالسياق الدولي للظاهرة. فالعزوف السياسي عند الشباب، أو عند فئات أخرى، نجده حاصلاً حتى في أعتى التجارب الديمقراطية مثل فرنسا وإسبانيا؛ ولنا في الاستحقاقات الانتخابية الأخيرة التي عرفها هذان البلدان خير مثال على ما قلناه.

أوفريد: سأطلق من تمثّل مفهوم «المشاركة السياسية» في إطار التنظيم باعتباره الأداة الضابطة لاشتغال سياسي هادف وواع. ضمن هذه الحدود سأتناول ظاهرة «العزوف»، علماً أنني،

الحكم. لكن السؤال الذي يجب أن نطرحه هو: من سيخلف هذه الأحزاب التاريخية في المعارضة للدفع بدينامية المشاركة السياسية إلى مستوى أرقى؟ معظمنا يمكن أن يتفق على أن الحركات الإسلامية لن تستطيع ذلك لأنها، لحد الآن، لم تعلن عن مطالبها الحقيقية، ولم تحدّد بعد سقفها السياسي، ولم تكشف عن طبيعة عملها وعن مواقفها من بعض الإشكالات السياسية في المغرب (مثل مبدأ البيعة، والدستور والفصل التاسع عشر، إلى غيرها من الإشكالات التي تستوجب وضوحًا في الموقف).

هل يُمكننا المراهنة، في ملء ساحة المعارضة، على المجتمع المدني؟ أعتقد شخصيًا أن جزءًا كبيرًا من المجتمع المدني متحكّم فيه وليس مستقلاً في قراراته.

هل يُمكن أن تضطلع النقابات العمالية بمهمة المعارضة، خصوصاً وأنها تقوم بدور طلائعي في الواجهة الاجتماعية؟ للأسف، النقابات المغربية صنفان: صنف تابع للدولة، وصنف تابع للأحزاب، الأمر الذي يجعلنا نفتقر إلى وجود حركة نقابية مستقلة وحقيقية يمكنها أن تقوم بدور متوازن في إطار صراع سياسي واضح المعالم.

هل يمكننا الرهان على أحزاب الحكم السابقة، التي من المفروض أن تقوم بدور المعارضة البرلمانية للحكومة بعد مغادرتها دهاليز الحكم؟ الظاهر أن أحزاب الدولة، عمومًا، في المغرب وفي غيره، أخذت في الاندثار. أضف إلى أن هذه الأحزاب في المغرب ليست أحزاباً يمينية حقيقية ذات مشروع سياسي ومجتمعي، وإنما هي آليات خلقت الدولة في فترة تاريخية ما لتمكّنها من ضبط المشهد السياسي.

هل نراهن على أحزاب اليسار الراديكالي؟ أعتقد أن أزمة البناء والتنظيم داخل اليسار الراديكالي تُفقد القوة الدافعة التي تمكّنه من القيام بهذا الدور الآن.

يجب الاعتراف أننا نوجد اليوم في مفترق الطرق. وأهم ما يميّز هذا الوضع هو سوء تنظيم المشهد السياسي، في حين أن

مَنْ يتقلّدون مسؤولية تدبير الشأن الشبابي عندنا هم من الكهول، بعكس التنظيمات الشبابية الغربية!

ولأننا جميعاً ننتمي إلى الصف السياسي الديموقراطي، فمن الواجب أن نقوم بنوع من النقد الذاتي لممارستنا السياسية. فحتى الأمس القريب كنّا نملك معيّنًا غنيًا ومهمًا في الساحة الجامعية ممثلاً في «الاتحاد الوطني لطلبة المغرب». لكننا اليوم، وبعد أن قرّطنا في هذا التنظيم الحيوي، فقّدنا وجودنا في الساحة الجامعية التي كانت مصدرًا أساسيًا لتزويد الأحزاب بالأطر النضالية ذات التكوين الفكري والسياسي المتميز، ومصدرًا أساسيًا لتخريج شباب ذوي إلمام بواقعهم السياسي والاجتماعي والفكري، وهم عادة الدافعون بنموّ الحيوية المجتمعية والداعمون لمبدأ المشاركة السياسية. وها نحن اليوم نلاحظ أنّ الجامعة تعمل على إنتاج خريجين غير مؤطّرين ولا مسلّحين بمنظور متكامل عن واقعهم في كافة مستوياته. وهذه مسؤولية تتحمّلها أحزاب اليسار التي أحلت مواقعها المتقدّمة في الجامعات المغربية، فأضاعت بذلك أداة مهمة في صراعاتها مع السلطة وقوى الضغط القاهرة.

لكن، إلى جانب مسؤولية الأحزاب الوطنية الديموقراطية في تراجع مدّ المشاركة السياسية عند الشباب، لا بدّ من الوقوف طويلاً عند التدابير التي قامت بها السلطة في اتجاه تسييج العمل السياسي وإغلاقه في وجه الشباب. ولم يكن القمع، كما قال الأخ عمر، محدودًا ونسبيًا، بل كان قمعًا شرسًا يهدف إلى اقتلاع الحركات الديموقراطية من جذورها.

إنّ سؤال «هل كان هناك تحولٌ سياسي في المغرب أم لا؟» سؤالٌ ما يزال مطروحًا إلى الآن. والإجابة الوحيدة عنه هي أنّنا لم نبرح قطّ النظام السياسي المغربي في طبيعته الأصلية، مع توسيع نسبيٍّ لهامش الحرية. وبالتالي، فإنّ ما نعيشه اليوم لا يعدو أن يكون مجرد انفتاح ديموقراطي مراقبٍ قد تتحقّق داخله بعضُ المكتسبات، خصوصًا في مستوى الحريات العامة، لكننا لا يُمكننا الحديث عن انتقال سياسي حقيقي.

إذا أردنا أن نحقّق مشاركةً جماهيريةً وشبابيةً واسعة في المشهد السياسي العام، فلا بد من التأسيس لثقافة سياسية

شخصيةً، أتحمّل في استعمال هذا المفهوم في غياب المعطيات والإحصاءات الكافية.

إذا اعتمدنا هذا التحديد التنظيمي لمفهوم المشاركة، أمكننا الإقرار بوجود تراجع كبير في مشاركة الشباب المغربي في الشأن السياسي الحالي. ففي التاريخ السياسي المغربي القريب نسبيًا، كنّا نتحدث عن حركة سياسية قوية، قاعدتها الأساسية هي الشباب. فقيادة الحركة الوطنية كانوا شبابًا لم يتعدوا سنّ الثلاثين. وفي الستينيات، وهي فترة تراجع المدّ الوطني، كان قادة الإصلاح الحقيقي داخل الحركة الوطنية من الشباب. والتحول الذي برز في السبعينيات، مع ظهور حركة اليسار الجديد من داخل صلب الحركة الوطنية، قاده مناضلون شبابًا أيضًا. أما اليوم فنسجّل تراجعًا كبيرًا في الدور الذي يلعبه الشباب في رسم ملامح المشهد السياسي المغربي، كما نسجّل محدودية امتداد المنظمات الشبابية. بل إنّ الحديث عن «اكتساح» الحركات الإسلامية لصفوف الشباب لا يعدو أن يكون كلامًا نظريًا ومجازيًا؛ فهذه الحركات لا تؤطّر في الحقيقة سوى العدد الكبير من ذلك العدد القليل من الشباب المؤطّر في تنظيمات شبابية. ولهذا فإنّ الظواهر الجديدة داخل المؤتمرات الشبابية، التي ألمح إليها البقالي، لا تُعكس في العمق كثافة المشاركة، بقدر ما تُكشّف عن ظاهرة جديدة في التعاطي مع الشأن الشبابي طفت على السطح مع بدايات مرحلة «الانتقال السياسي»، ونعني بها ظاهرة النفعية، بمعنى البحث عن «المواقع» والاستفادة الشخصية منها.

وما يركّز محدودية المشاركة السياسية لدى الشباب ذلك الالتباسُ الحاصل في تقلّد المسؤولية داخل المنظمات الشبابية والجمعيات التربوية والثقافية المغربية (والعربية عامة)، حيث نجد أنّ مَنْ يتقلّد مسؤولية تدبير الشأن الشبابي هم من الكهول. وهذا ما يُخرّجنا كثيرًا حين نشارك في المؤتمرات الشبابية الدولية، إذ نجد أنفسنا رفقة قادة تنظيمات شبابية أوروبيين وأميركيين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرين!

III - المنظمات الشبابية والمشاركة السياسية

لبيّض: ننتقل في المحور الثالث من ندوتنا إلى التساؤل عن عمل وأفاق المنظمات الشبابية المغربية في ما يخص تجربة المشاركة السياسية الشبابية. ومن أسباب طرح هذا التساؤل ظهور العديد من أشكال المشاركة السياسية الشبابية التي تحتضنها اليوم فضاءات المجتمع المدني، الأمر الذي يدفع إلى السؤال عن راهنية المنظمات الشبابية التقليدية. ولا شك في أنّ عمل هذه المنظمات طوال السنوات الماضية كان فاعلاً ومؤثراً في المشهد السياسي، غير أنّها تحتاج إلى وقفة تأمل تبحث عن صيغ التفاعل مع أشكال المشاركة المتنوعة التي أفرزتها طبيعة المرحلة الراهنة وتحول مفهوم «المشاركة» ذاته عند الشباب.

البقالي: يشكّل العمل التنسيقي للمنظمات الشبابية المغربية تطوراً سباقاً حتى على التنسيق الحزبي. فنحن الآن بصدد التأسيس لممارسة سياسية مغايرة عن السابق، ترتكز على البحث عن مساحات الالتقاء، وتجانب جهد المستطاع مساحات الاختلاف. وهذا، لعمري، أهم متغير سياسي شهدته العشريّة الأخيرة في أداء المنظمات الشبابية الديمقراطية. وهذه الشبكة الوطنية أخذت في الازدياد، ونأمل في أن تصير أداة لتطوير العمل السياسي الشبابي وفضاءً لتقوية المشاركة لدى نسبة كبيرة من الشباب المغربي. وللوصول إلى هذا المبتغى كان من الضروري المبادرة إلى تجديد آليات عملنا، وذلك بتجاوز مناهج العمل التقليدية التي لم تُعدّ تُسَعف في تقدّم الأداء التنظيمي الأحادي أو الجماعي.

أشار الأخ لبيّض إلى مسألة انفتاح المنظمات الشبابية على الحركات الاجتماعية والثقافية والسياسية الأخرى، وفي هذا الصدد أوكد أنّ العمل التنسيقي للتنظيمات الشبابية الديمقراطية يعمل جاهداً على الانفتاح على المحيط الاجتماعي والسياسي. وليس غريباً القول إنّ هذا الإطار قد انفتح بشكل إيجابي على التيارات الإسلامية الراديكالية، واليسار الراديكالي، كما دُشّن انفتاحاً واسعاً وإيجابياً على الأشكال

جديدة قوامها إصلاح الدستور. ذلك لأنّ إصلاح الدستور مؤشّر على إعادة ترتيب المشهد السياسي المغربي من خلال تقسيم حقيقي للسلط، تتمتع فيه الحكومة بمسؤولية كاملة في تطبيق مشاريعها، ويقوم فيه البرلمان بدوره التشريعي والرقابي للحكومة، وتحدّد مساحة الفعل الخاصة بالمؤسسة الملكية.

زاير: دُشّنت مرحلة التناوب السياسي بالتوقيع على ميثاق الشرف الذي جمّع الأحزاب الوطنية، والأحزاب التي خلقتّها السلطة في شروط سياسية معروفة، والسلطة العمومية. ومضمون هذا الاتفاق هو الحرص على استمرار الوضع على ما هو عليه، دونما سعي إلى تغيير العقلية أو استبدال آليات اللعبة أو أطرافها. فعملية «الانتقال الديمقراطي» تمت بشكل احتفالي لا بشكل سياسي وثقافي، وبالتالي فهتمت العملية في كليّاتها بأنّها مجرد تقرب الأحزاب الوطنية من دواليب السلطة، وبدأ يُرى إلى الحكم كمعتم لا كمغرم، الأمر الذي أفقد التجربة حيويّتها وحولّها إلى مجرد تبخيس في حق تاريخ من النضال الذي قدّمه مناضلو اليسار، وفي مقدمتهم «الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية»، قائد عملية «الانتقال السياسي». وقد انعكست هذه الوضعية على بنية هذا الحزب، إذ تشبّنت فصائله في المؤتمر السادس بخروج فصيل سياسي سُمّي بـ «الحزب الوطني الاتحادي»، كما خرج فصيل ثانٍ حمل اسم «الوفاء للديموقراطية»، والأخطر أنّ هذه التجربة دفعت بالعديد من المناضلين التاريخيين داخل الاتحاد الاشتراكي إلى الاعتزال السياسي. وقد استثمر النظام بذكاء نضالات وتضحيات اليسار لتلميع صورته، ولمواجهة جزء آخر من اليسار؛ فتمّ تمييع الجو السياسي العام بوجود تعددية حزبية، ولكن بدون خطاب سياسي ولا رؤية سياسية واضحة. وهكذا وجد الشباب نفسه أمام خليط من الأحزاب الورقية ومن الدكاكين السياسية المناسبة التي لا تُفتح أبوابها إلا في مناسبات انتخابية، فراح ينعزل عن العمل السياسي بدعوى عدم جدوى هذا العمل، وخلوّ الساحة السياسية من أحزاب قادرة على تعبئة الجماهير حولها.



المهام الأصلية للتنظيمات الشبابية تتجسد داخل قطاع الجامعة ووسط القطاعات الطلابية

الحقل السياسي في أي بلد يعيش مخاضاً ويكون مفتوحاً على تحولات كبرى، فإن الشباب هم الفئة الأكثر استيعاباً لتلك التحولات وإحساساً بها، نظراً إلى قربهم من النماذج المثالية ومن القيم النموذجية. والشباب المغربي أدّى ضريبة التحولات، التي كانت في أحيان كثيرة عنيفة وقاسية. والسؤال المطروح الآن هو: ما المطلوب بعد كل هذا؟

لمقاربة هذا السؤال لا بد من الإقرار بأن الأداء السياسي للتنظيمات الشبابية، رغم كل الهزات العنيفة التي تعرضت لها، كان في المستوى المطلوب فعلاً؛ فقد كانت هذه التنظيمات في طليعة النقاش السياسي داخل أحزابها، وكانت دوماً متقدمة فيه. لكن يجب، في المقابل، التنبيه إلى أن مهامها الأصلية، التي يُكمن فيها قصور واضح، تتجسد داخل فضاء الجامعة ووسط القطاعات الطلابية. وهذه، في اعتقادنا، هي أورشال المستقبل وأورشال ضمان استمرارية الأداء السياسي للتنظيمات الشبابية الوطنية الديمقراطية.

أحرفشان: في ختام هذه الندوة أود أن أتقدم بستة مقترحات هي كالتالي:

أولاً: ما دار بيننا اليوم يؤكد أن المشكل الذي يواجهنا ليس خاصاً بفئة الشباب، بقدر ما يتعلق بالبنية السياسية المغربية. لهذه الغاية، لا بد من التفكير في قضية مشاركة الشباب في الشأن السياسي ضمن منظور عام ومتكامل يطرح بدايةً إصلاح المجتمع، إذ بدون إصلاح المجتمع وإيجاد بيئة سليمة لممارسة عمل سياسي حقيقي لا يُمكن أن نصلح وضعيّة الشباب ولا أن ندعوه إلى مشاركة سياسية إيجابية.

ثانياً: ما يؤثّر في الشباب المغربي اليوم ليس خطابتنا التي حاولنا أن نُنشر بعض تعبيراتها اليوم، وإنما خطاب وسائل الدعاية الرسمية الذي يرتكز على التثبيس. لهذا فمن المفروض أن نقوم (كتنظيمات شبابية) بالاحتضان التربوي للشباب حتى يستطيع الخروج من حالة الانعزالية والانطوائية التي يعيش داخلها، ومن ثم إعادة الثقة إليه في العمل السياسي.

الحركة الاحتجاجية الشبابية ومن بينها جمعيات المعطلين. ثم إننا نشتغل على مستوى القاعدة الاجتماعية. وليس من باب الدعاية التذكير بما قمنا به من مبادرات في مجال إصلاح التعليم الجامعي، أو في مستوى التضامن الاجتماعي بمناسبة زلزال مدينة الحسيمة عندما بادرتنا وافتحننا على الحكومة وقدمنا لها عرضاً - لكنّها للأسف لم تستجب له.

فكالك: تجب الإشارة إلى أن المنظمات الشبابية الديمقراطية ليست تنظيمات مفصولة عن محيطها، بل تركز في عملها على جمعيات للطفولة أو للشباب أو للثقافة، وغالباً ما تكون لديها مواقع خلفية في جمعيات المجتمع المدني. ولكن ما يجب تأكيده هو ضعف إمكانياتها، وانعدام الظروف الملائمة للاشتغال. فقد دأبنا في الماضي على انتهاج أساليب تقليدية بسيطة في تدبير الشأن الشبابي، وهي أساليب أمست غير مقبولة في ظل تعدد الظروف وعنف التحولات العاصفة بالعمل السياسي والاجتماعي والثقافي. كما أن مبلغ ٢٠٠٠ دولار الذي تقدّمه سنوياً وزارة الشبيبة والرياضة دعماً لهذه المنظمات لم يعد كافياً، ولهذا لا بد أن ينصب اهتمامنا بالأساس على إيجاد موارد جديدة للعمل، خصوصاً مع صدور قانون الأحزاب الجديد. فإذا كان الدستور المغربي ينيط مهمة تأطير المواطنين بالأحزاب السياسية، وإذا كانت المنظمات الشبابية جزءاً من هذه الأحزاب، فعلى الدولة أن تتحمل مسؤولية تقديم ضريبة هذا التأطير من خلال توفير الدعم الكافي والإمكانيات اللائقة لها، على أن تحاسبها بعد ذلك في إطار من الشفافية. كما يجب على الأحزاب والدولة معاً أن تغيّر من نظرتها إلى عمل المنظمات الشبابية، وأن تسعى معاً إلى تدشين مرحلة التفكير في إقامة شراكة حقيقية، خاصة مع استفحال المشاكل التي تواجه الشباب المغربي اليوم من هجرة سرية وعطالة وتطرف.

طارق: يجب الاعتراف بأن مرحلة التحولات التي عشناها في التسعينيات قد أثرت في الفعل السياسي الشبابي. فإذا كان

ندوة: عوائق العمل الشبابي السياسي في المغرب |

زاير: إن مهامنا وأدوارنا ما زالت مستمرة باستمرار فداحة الأوضاع الاجتماعية التي نعيشها اليوم، وبالتالي لا يمكن اعتبار عمل التنظيمات الشبابية مقتصرًا على قضايا الشباب، وإنما نضالنا ومسؤولياتنا تنصب على إصلاح المجتمع اقتصادياً وسياسياً وفكرياً واجتماعياً. وداخل هذا الورش الإصلاحية الكبير والشامل تتم مقارنة إصلاح أوضاع الشباب، لأننا إذا جزأنا هذه المهام وفصلنا القضايا بعضها عن بعض، فسنصعب علينا الأدوار.

إن ورشة العمل هذه يجب أن تُفتح اليوم على أساس من وضوح الرؤية والتصور في مجموع القضايا التي ما تزال عالقة. وإذا استطعنا أن ننجح في هذه المهام، فإننا سنعطي درساً للطبقة السياسية المغربية في كيفية معالجة قضايا المجتمع والسياسة.

الدار البيضاء

محمد العوني:

أمين عام سابق لحركة الشبيبة الديمقراطية.

سعيد فكاك:

أمين عام الشبيبة الاشتراكية.

عمر أحرشان:

أمين عام شبيبة حركة العدل والإحسان الإسلامية.

حميد أوفريد:

أمين عام شبيبة اليسار الاشتراكي الموحد.

عبد الله البقالي:

أمين عام منظمة الشبيبة الاستقلالية.

حسن طارق:

الأمين العام بالنيابة لمنظمة الشبيبة الاتحادية.

محمد زاير:

أمين عام منظمة الشباب الاتحادي.

ثالثاً: وجوب وجود عمل ميداني يجسد هذه الغايات. وهذا يفرض على التنظيمات الشبابية أن تكون حاضرة في المدارس والثانويات والجامعات والمعاهد، لأن من شأن هذا أن يعيد الثقة إلى الشباب في العمل السياسي.

رابعاً: تأسيس جبهة وطنية للدفاع عن قضايا الشباب تحمّل شعار الاتفاق لا الاختلاف.

خامساً: تأسيس مرصد لقضايا الشباب نرصد من خلاله الأمور والقضايا الشبابية، كما يوفر لنا مادة للعمل وقاعدةً للتحليل العلمي الرصين.

سادساً: تدشين حوار مجتمعي يحدد فيه أمران: الاتفاق على المبادئ الكبرى، وتحديد الضمانات التي تهيئ لنا الطريق نحو الأفق الصحيح ليكون ثمة جدوى للتنافس بين الفرقاء السياسيين.

أوفريد: لا أحد يجادل في أن إمكانيات المنظمات الشبابية المغربية المادية ضئيلة، إن لم نقل معدومة. وفي اعتقادي أن العمل الأساس لهذه المنظمات يجب أن ينصب على إبداع وسائل للعمل والبحث عن الإمكانيات المادية اللازمة لذلك.

أما على مستوى ما هو متحقق من تجارب العمل في المنظمات الشبابية الوطنية الديمقراطية، فيجب الاعتراف بأن منظماتنا الشبابية كانت دوماً مدرسةً للتكوين، وبفضلها تزخر الأحزاب الوطنية اليوم بأطر عالية التكوين السياسي والفكري، وتحتل فيها مواقع قيادية هامة. كما سعت هذه المنظمات مؤخراً إلى خلق لجنة التنسيق الوطني للشبيبات الوطنية الديمقراطية. وفي هذا الإطار لا بد من ذكر ما تم إنجازه هنا، مثل ورشات العمل حول المشاركة الدستورية والحفاظ على المال العام. كما نفكر في الاشتغال مستقبلاً على ملفات مثل البطالة والتعليم، باعتبارهما موضوعين أساسيين في حياة الشباب. ولكي نطور العمل التنسيقي بين المنظمات الشبابية فإنه لا بد من السير بها نحو إقامة جبهة شبابية مفتوحة على أفاق المشروع المجتمعي الذي نؤمن بأن عليه أن يكون ديموقراطياً وحدائياً.